حكايات جزائرية

الفرسان السبعة والأميرات

فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ وَسَالِفِ العَصـرِ وَ الأَوَانِ... كَـانَ أَحَـدُ الأُمَرَاءِ الشَّبَابِ يُسَمَّـى سِيسَان يَعِيـشُ مَـعَ شَـقِيقَاتِهِ الأَمِيرَاتِ السَّـبْعِ فِـي بَلْـدَةٍ هَادِئَـةٍ جَمِيلَـةٍ بِحَـدَائِقِهَـا وَبَسَـاتِينِهَا اليَانِعَةِ وَنَافُورَاتِ مِيَاهِـهَا المُتَدَفِّقَـةِ.

ذَاتَ يَـومٍ سَـافَرَ الأَمِيـرُ سِيسَـان لِمُرَاقَبَـةِ شُـؤُونِ البِـلَادِ وَالعِـبَادِ، حَيْـثُ يَتَفَقَّـدُ سَيـرَ النِّظَـامِ فِي الأَقَالِيـمِ التَّابِعَـةِ لَـهُ.

بَعْـدَ أَيَّـامٍ عَـادَ الأَمِـيرُ إِلَى قَـصْرِهِ فعَلِـمَ مِـنَ الحَرَسِ بأنّ شَـقِيقَاتِهِ قدْ اخْتُطِفْـنَ مِنْ قِبَـلِ أَشْخَـاصٍ غُرَبَـاء... غَضِبَ الأَمِيرُ غَضَبًا شَـدِيدًا وَأَعْلَنَ الحِدَادَ فِي سَـائِرِ أَنْحَاءِ الـمَمْلَكَةِ.

بَـدَأَت الحيرَةُ تَتَمَلَّكُـهُ واليَـأسُ يَـكَادُ يُدَمِّـرُهُ وَهُـوَ يُحَـدِّقُ فِـي سَـاحَةِ القَـصْرِ الحَزِينَـةِ، ثُـمَّ حَـوَّلَ بَـصَرَهُ إِلَى السَّـمَاءِ، فَلَمَـحَ فِي الأَجْـوَاءِ حَمَامَتَـينِ بَدِيعَتَـينِ، تَحُومَـانِ بَـيْنَ الحَدَائِـقِ وَالبَسَاتِـينِ، بَعْـدَ حِـينٍ اقْتَرَبَـت مِنْـهُ وَاحِـدَةٌ، وَأَلقَـتْ أَمَامَـهُ رِسَـالَةً وَطَـارَت.. قَـرَأَ الرِّسَـالَةَ:

- أَيُّهَـا الحَائِـرُ!.. لاَ تَحْـزَن؟... إِنْ أَرَدتَ اللّحَـاقَ بِنَـا عَلَيْـكَ اتِّبَاعنَـا إِلَـى القَصْـرِ الجَمِيـلِ وَثَـمَّةَ يَكُـونُ مَـا تُرِيدُ...

أَسْرَعَ الأَمِيرُ سِيسَان إِلَى مَرْبَطِ الجِيَّادِ وَسَارَ تُجَاهَ البَادِيَةِ.

فِي طَرِيقِـهِ الطَّوِيـلِ صَـادَفَ الأَمِـيرُ صَخْـرَةً فِي شَـكْلٍ هَنْدَسِـيٍّ تُشْـبِهُ رَأْسَ انسَـانٍ، فَـزِعَ الأَمِـيرُ لِذَلِـكَ الـمَنْظَرِ الرَّهِيـبِ، رَفَـعَ رَأسَـهُ فَـرَأَى قَلعَـةً ضَخْمَـةً،،، وفِي غَمْـرَةِ مَخَاوِفِـهِ الـمَمْزُوجَةِ بِأَمَلِـهِ الكَبِـيرِ فِي العُثُـورِ عَـلَى الحَمَامَتَـينِ قَـرَّرَ دُخُـولَ الـمَبْنَى.

طَـرقَ الأَمِـيرُ البَـابَ كَثِـيرًا وَلَـمَّا فُتِـحَ لَـهُ ظَهَـرَ الحُـرَّاسُ فِي زيِّهِـم الـمُزَرْكَـشِ، أَدْخَلُـوهُ وَفَرَسَـهُ.

بَعْـدَ فَـتْرَةٍ أَقْبَـلَ الفُرْسَـانُ أَصْحَـابَ القَلعَـةِ فَتَعَرَّفُـوا عَـلَى الأَمِـيرِ وَفَرِحُـوا بِوُجُـودِهِ فِي قَلْعَتِهِم، وَأَقَامُوا لَهُ احْتِفَـالا، ثُـمَّ قَـصَّ عَليهِـم حِكَايَـةَ شَقِيقَاتِـهِ الـمُخْتَـطَفَـاتِ، وَوَعَدَهُـم بِالـزَّوَاجِ مِنهُـنَّ إِنْ سَاعَـدُوهُ فِي العُثُـورِ عَلَيهِـنَّ... فَوَافَقُـوا عَـلَى فِكْرَتِـهِ، كَمَـا طَلَـبَ مِنْهُـم الـمُسَاعَدَةَ فِي العُثُـورِ عَـلَى الحَمَامَتَـينِ.

تَوَجَّهَ الفُرسَانُ السَّبْعَةُ نَحْوَ أَبِيهِمْ الـمُنْهَمِكِ فِـي أَكْـلِ لَحْـمِ القُنْفُـذِ... وَسَأَلُـوهُ:

- يَـا أَبَانَـا العَزِيـز.. أَيُّـهَا الفَـارِسُ الجَبَّـار.. يَـا كَبِيـرَ القَـومِ... كَيْـف نَعْـرِفُ مَكَـانَ الحَمَامَتَـينِ؟

نَظَرَ الأَبُ إِلَى السَّمَاءِ طَوِيلاً ثُمَّ قَالَ:

- العِمـلاَقَانِ (طَامُوسْ وَرَامُـوسْ) يَسْكُنَـانِ قَصْـرًا عَـلَى قِـمَّةِ الجَبَـلِ الأَخْضَـرِ يَحْرُسَانِ وَيَخْـدُمَانِ فَتَاتَيْنِ جَمِيلَتَيْنِ فِي مُقْتَبَلِ العُمْرِ تَعِيشَـانِ مَعًـا.. إِنَّهُـمَا صَاحِبَتَـا الحَمَامَتَيْنِ.

حِـينَمَـا عَلِـمَ الأَمِيـرُ سِيسَـان مِنَ الفُـرْسَـانِ أَنَّ قِمَّـةَ الجَبَـلِ الأَخْضَـرِ تُخْـفِـي أَسْـرَارَ الحَمَـامَتَيْـنِ سَارَعَ إِلَى جَوَادِهِ، وَاتَّجَـهَ صَـوْبَ القِمَّةِ حَيْثُ القَصْرُ الـمنِيفُ وَالعِمْلاَقَيْـنِ... بَيْنَمَـا تَفَرَّقَ الفُرسَانُ السَّبْعَـةُ فِـي كُلِّ اتِّجَاهٍ يبْحَثُـون عَـن شَقِيقَـاته.

وَصَـلَ الأَمِـيرُ القَـصْرَ فَاسـتَقْبَلَتْهُ الحَمَامَتَـانِ فِـي أَجْـوَاءِ القَـصْرِ، حَيْـثُ وَجَـدَ دَاخِلَـهُ فَتَاتَـيْنِ يَحْرُسُـهُمَا عِمْلاَقَـانِ فَأُعْجِـبَ الأَمِـيرُ سِيسَـان بِالفَتَاتَـيْنِ وَتَزَوَّجَهُـمَا، وَعَـادَ بِهِـمَا إِلَـى قَصْـرِهِ وَمَعَهُم الحَارِسَـانِ طَامُوس وَرَامُـوس... لَكِنَّـه تَـرَكَ قَصـرَهُ ثَانِيَّةً وَخَـرَجَ يَبْحَـثُ مِـن جَدِيـد عَـنْ شَـقِيقَاتِهِ...

كَانَ لِلأَمِيرِ سِيسَان عَمٌّ شَدِيدُ البَأْسِ، غَلِيظُ القَلْبِ، مَلَكَتْهُ الغَيرَةُ حِينَمَا عَلِمَ بِزَوَاجِ ابْنِ أَخِيهِ وَرَأَى العَرُوسَينِ، فَكَّرَ بِخُبْثٍ وَشَرَعَ فِي تَدْبِيرِ مَكِيدَةٍ للتَّخَلُّصِ مِنْ ابْنِ أَخِيهِ الأَمِيرِ الشَّاب قَصْدَ الانْفِرَاد بِالمُلْكِ...

أَرْسَلَ مَعَهُ رَجُلَيْنِ مِنْ رِجَالِهِ الغَشُومِينَ... رَافَقَهُمَا الأَمِيرُ فِي رِحْلَتِهِمَا وَهُوَ لايَدْرِي مَا يُخْفِيانِهِ فِي نَفْسَيْهِمَا مِنْ مَكْرٍ وَحِيلَةٍ... وَلَمْ يَعلَمْ بالمَكِيدَةِ التِي تَنْتَظِرُهُ...

عَطِشَ الأَمِيرُ فِي رِحْلَتِهِ الصَّحْرَاوِيَّةِ فَلَمْ يَجِدْ مَاءً فِي جِرَابِهِ يُطْفِئُ بِهِ لَهِيبَ الظَّمَإِ، وَلَمَّا طَلَبَ مِنْ رَفِيقَيْهِ جُرْعَةَ مَاءٍ امْتَنَعَا... فَاشْتَدَّ بِهِ العَطَشُ حَتَّى أَشْرَفَ عَلَى الهَلاَكِ.. وَبَعْدَ الإِلْحَاحِ وَالتَّهْدِيدِ اسْتَجَابَا لِطَلَبِهِ لَكِن بِشَرْطٍ غَرِيبٍ: أَن يَفقَآ عَينَيهِ..!!

غَدَرَ الرَّجُلاَنِ بِالأَمِيرِ وَ رَمَيَا بِهِ فِي غَيَاهِبِ الصَّحْرَاءِ بَعْدَمَا فَقَآ عَيْنَيْهِ مُقَابِلَ جُرْعَتَينِ مِنَ المَاءِ...

هَا هُو تَحْتَ لَهِيبِ الشَّمْسِ المُحْرِقَةِ كَفِيفَ البَصَرِ، يَتَلَمَّسُ الطَّرِيقَ فَلاَ يَعْرِفُ لَهُ دَرْبًا، وَيَبْحَثُ عَن قَطْرَةِ مَاءٍ فَيَسِيلُ عَرَقُهُ قَطَرَاتٍ مِمَّا زَادَهُ عَطَشًا وَأَلَمًا...

رَكِبَ الأمِيرُ الكَفِيفُ سِيسَـــان حِصَانَهُ بِصُعُوبَـــةٍ، وَبَعْـدَ مُـدَّةٍ طَـويلَـةٍ مِـــن السَيْـر تَوَقّـفَ الحِصَـانُ فِي ظِّـلِ شَـجَرَةٍ فَنَـزَل وَجَلَـسَ تَحْتهـاَ وَكَـانَ فِـي حَـالَـةٍ سَـيِّئَةٍ، مِـن الجُوع والتَّعـبَ والأَلَـمِ.

كَانَ عَلَى أَغْصَانِ شَجَرَةِ الزَّيتُـونِ عُـشٌّ فِيـهِ صِـغَارُ طَائِرِ اللَّقْلَقِ يَرْقُبُـونَ هَـذَا الإنْسَانَ مُشْـفِقِيـنَ عَلَيْـهِ، متَأَلِّمِيـنَ لِحَالِـهِ، وَلَمَّـا عَـادَ أَبُوهُـمْ دَنَـا مِنْهُـمْ كَعَـادَتِهِ لِيَحْضُنَـهُم، قَـالُـوا لَهُ:

- لَن نَقْتَرِبَ مِنْكَ حَتَّى تُسَاعِدَ هَذَا الـمَخلُوقَ البَائِسَ، انْظُر إِلَى الأَرْضِ.

تَأَثَّرَ الطَّائِرُ لِقَوْلِ صِغَارِهِ فَلَبَّى طَلَبَهُم فِي الحِينِ وَقَالَ:

- أَيُّهَا الانْسَانُ، ضَعْ يَدَكَ يَـمِينًا تَجِد حَجَرَةً حَاوِل أَنْ تَقْلِبَـهَا عَلَـى ظَهْـرِهَا.

- انْدَهَـشَ الأَمِيرُ لِهَذَا الصَّوْتِ العَجِيـبِ ومَـدَّ يَـدَهُ فِـي رَعْشَـةٍ وَوَهَـنٍ، نَـزَعَ الحَجَـرَ مِنْ مَكَانِـهِ، فَتَنَـزَّى الـمَاءُ يُنْبُوعًا صَافِيًـا، فَـرَوَى الأَمِـيرُ عَطَـشَـهُ بَعْـدَمَا عَـبَّ الـمَاءَ عَبًّا... وَلِعِـلاَجِ عَيْنَيْـهِ فَكَّـرَ الطّائِـرُ فِـي كَيْفِيَّـةِ مُسَاعَدَتِـهِ عَلَـى اسْتِـرْجَاعِ نُـورِ البَصَـرِ، فَأَشَـارَ نَحْـوَ أَوراَقِ الشَّـجَرَةِ وَهُـوَ يَقُـولُ لِلأَمِـيرِ:

- انْهَضْ وَخُذْ مِـنْ أَوْرَاقِ هَـذِهِ الشَّجَـرَةِ، امْضَغْهَا بَـأَضْـرَاسِكَ حَـتَّى تَصِيـرَ كَالـمُضْغَـةِ ثُـمَّ ضَعْهَـا عَـلَى عَيْنَيْكَ وَ سَتُشْـفَى.

أَسْـدَلَ اللَّيْلُ سِـتَارَهُ وَسَـطَعَتِ النُّجُومُ البَرَّاقَـةُ فِـي ظُلْمَةٍ خَيَّمَـت عَلَـى نَفْسِـيَّةِ الأَمِيرِ، وَكَانَـت البِشَـارَةُ بِوُجُـودِ هَـذَا الطَّائِرِ الذِي كَانَ وَصِغَارُهُ خَيْـرَ أَنِيـسٍ فِـي ظُلْمَـةِ العَمَى.. وَبِفَضْلِ هَـذَا الطَّائِرِ وَصِغَـارِهِ اسْتَعَادَ الأَمِـيرُ سِيسَـان بَصَـرَهُ وَعَـادَتْ إِلَيْهِ قُوَّتُـهُ، وَوَاصَلَ دَرْبَـهُ إِلى حَيْـثُ لاَ يَـدْرِي، وَلَمْ يَنْسَ أَنْ يَقُـولَ لِلطَّائِـرِ وَصِغَارِهِ:

- شُكْرًا لَكُمْ أَيُّهَا الأَصْدِقَاءُ... لَنْ أَنْسَى جَمِيلَكُم مَا دُمْتُ حَيًّا.

يَـمْشِي الأَمِيرُ سِيسَان تَائِهًا بيْنَ الوِهَاد، غَارِقًا بِأَفْكَارِهِ فِي بَحْـرٍ كُثْبَانُـهُ الرَّمْلِيَّـةُ وَأَمْوَاجُهُ السَّرَابِيَّـةُ الـمُتَـرَامِيةُ تَجْذِبُهُ مَـرَّةً وَتَدْفَعُهُ مَـرَّاتٍ أُخْرَى...

وَجَـدَ فِـي طَـرِيقِهِ كُـوخًا قَدِيـمًا، اسْـتَأْذَنَ مِـن سَـاكِنِيهِ طَالِبًـا الضِّيَـافَـةَ، وَلَـمَّا دَخَـلَ وَجَـدَ عَجُـوزًا رَحَّبَـتْ بِـهِ وَقَدَّمَـتْ لَـهُ جفنَةَ طَعَـامٍ وَ حَلِيـبٍ، بَـدَأَ يَـأْكُلُ وَيَـشْرَبُ بِنَهَـمٍ، وَعِنْدَمَـا شَـبِعَ وَارْتَـوَى شَرَعَ فِي رِوَايَـةِ قِصَّتِـهِ...

قَالَتْ لَهُ العَجُوزُ بَعْدَمَا نَزَلَت دَمْعَتَـانِ مِنْ عَيْنَيْهَا الغَائِرَتَيْنِ:

- لاَ تَخَف أَيُّهَا الشَّابُّ.. ابني فَارِسٌ قَـدْ يُسَاعِدُكَ، وَهَذَا أَوَانُ عَوْدَتِـهِ.

وَلَمَّا عَادَ الفَارِسُ رَحَّبَ بالأَمِيرِ وَسَمِعَ قِصَّتَهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ:

- إنَّ عَمَّـكَ كَلَّفَنِـي بِـمُقَاتَلَـةِ العِمْلاقَيْنِ الحَارِسَـيْنِ طَامُوس وَرَامُوس الأُسبُوعَ الـمُقْبِلَ، لِيَتَمَكَّـنَ مِـنَ الفتَاتَـيْنِ وَيَتَزَوَّجهُـمَا بَعْـدَ غِيابِـكَ الـمُفَاجِئِ عَـن القَـصرِ، فَعَـرَفَ الأَمِيرُ مِـنْ كَلاَمِ الفَـارِسِ أَنَّ عَمَّـهُ هُـوَ الَّـذِي دَبَّـرَ لَـهُ الـمَكِيدَةَ فِي الصَّحْـرَاءِ لِلتَّخَلُّـصِ مِنْـهُ،،، وَبَعْـدَ صَمْـتٍ قَـالَ الأَمِـيرُ سِيسَـان لِلفَتَـى:

- عِنْـدِي اقْتِرَاح.. هَلْ تَسْمَحُ لِـي بِالـذَّهَـابِ الأُسْبُـوعَ الـمُـقْبِـلَ لِمُقَـاتَلَـةِ العِمْلاَقَيْنِ عِوَضًـا عَنْـكَ؟

وَافَـقَ الفَـارِسُ، وَقَـدَّمَ لَهُ مَلاَبِـسَ القِتَـالِ: الحِصَـانُ الأَدْهَمُ، النِّـبَالُ الحَادَّةُ، السَّيْفُ البَتَّـارُ وَالـدِّرْعُ الوَاقِـي، ثُـمَّ دَلَّـهُ عَـلَى الطَّرِيـقِ...

فِـي هَـذَا الوَقْـتِ كَـانَ الفُرْسَـانُ السَّـبْعَةُ يَتَّجِهُـونَ نَحْـوَ القَصْـرِ رُفْقَـةَ الأَمِيـرَاتِ بَعْـدَ إِنْقَاذِهِـنَّ مِـنْ قَبْضَـةِ الـمُخْتَطِفِين، الّذِيـنَ قَامُـوا بِإِخْفَائِهِنّ فِـي إِحْـدَى الـمَغَارَاتِ الجَبَلِيّةِ، وَكَانَـتِ الأَمِيرَاتُ فِـي حَالَـةٍ مِـن الذُّعرِ والخَـوفِ...

اتَّجَـــهَ الأَمِـيرُ سِيسَـان مُتَنَكِّـرًا بِلِبَـاسِ الفَتَـى ابـنِ العَجُـوزِ إِلَى مَـكَانِ المَعْرَكَـةِ، فِـي سَـاحَةِ القَـصْرِ فَوَجَـدَ عَمَّـهُ وَالنَّـاس جَالِسِـينَ فِي الانتِظَـارِ، واقْـتَرَبَ مِـنَ العِمْلاقَـينِ وَنَادَاهُـمَا بِاسْـمَيهِمَا فَتَعَرَّفَـا عَلَيـهِ واتَّفَقُـوا عَـلى القِيَـامِ بِـمَعْرَكَةٍ تَـمْثِيلِيَّةٍ.

وَبَـدَأَ العِـرَاكُ الوَهْمِـيُّ بَـيْنَ الطَّرَفَـيْنِ، وَفِي غَمْـرَةِ الاشْـتِبَاكِ سَقَـطَ العِمْلاَقَـانِ، فَظَـنَّ العَـمُّ وَحَاشِـيَتُهُ أَنَّ "طَامُـوس وَرَامُـوس" قَـدْ هَلَكَـا، فَاتَّجَهُـوا صَـــوْبَ جَنَـاحِ الأَمِيـرَتَـيْـنِ لاخْتِطَافِهِـــمَا.. غَيرَ أَنَّ العِملاَقِينِ اسْتَيقَـــظَا وَأَحَاطَـا بِهِـم، وَقَبَـضَا عَلَيْهِـم... فِـي ذَلِكَ الوَقْـتِ كَانَ الأَمِـيرُ الشَّـابُّ مَـعَ زَوْجَتِيـهِ مُبْتَهِجِـينَ، وكَـافأَ الأَمِـيرُ العِمْلاَقَـينِ.

وبعـدَ فَـترَةٍ قَصِيرةٍ أَقْبَـلَ الفُرْسُـــانُ السَّـبْعَةُ وَمَعَهُـمْ شَـقِيْقَاتُهُ، فَرِحَ الأمِيــرُ بِعَودَتِهِمْ وأَقَـامَ لَهُمْ عُـــرسًا بَهِيجًـا، حَيـــثُ تَـزَوَّجَ كُلُّ فَارِسٍ وَاحـدِةً مِنْـهُـــنَّ، وَعَـــاشَ الجَمِيعُ فِي سَعَـادَةٍ وَهَنَاءٍ.

❋❋❋

obeikandl.com